وجاء في رواية أخرى أنه عندما سمع مقالة سعد، سُر بقوله ، ونشطه ذلك ثم قال: "سيروا وأبشروا" [1]. وهكذا فلو كانت صحيفة المدينة مكتوبةً قبل بدر لما تثاقل بعض الناس عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وجهته، ولو كانت مكتوبة قبل بدر لما ألح رسول الله صلى الله عليه وسلم على سماع رأي الأنصار وموقفهم من الاصطدام مع قريش، ولو كانت الصحيفة مكتوبةً قبل ذاك اليوم لما وجدنا المؤرخين يشيرون إلى بيعة العقبة ولما رأينا سعد بن معاذ سيد الأوس يشير إليها كذلك. ثم جاء القرآن الكريم ليصف الوضع النفسي والموقف المتردد لفريق من المؤمنين حذر الصدام مع قريش إذ قال تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [2] [الأنفال: ٥-٦].

هذا الموقف النفسي المتردد من قبل بعض المؤمنين يمكن فهمه أنهم إنما خرجوا لاعتراض العير والفوز بمصادرة تجارة قريش، و لم يكونوا يظنون أبداً أنهم سيلقون حرباً ويحاربون عدواً، لذلك أطلعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على جلية الأمر وهو منازلة قريش لا محالة، فظهرت من فريق منهم بوادر الضعف والخوف والتردد، لأنهم كما وصف حالهم الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾[الأنفال:٧].

على كل حال في هذه اللحظات البالغة الخطورة والأهمية بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام أعلن الأنصار عن موقفهم الجديد من الحرب

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/٢٦٧.

(٢) انظر: ابن كثير: التفسير...، ٤/١٣ - ١٥.